الأخلاق الحسنة
و
السيئة

إسماعيل حمودي

غفر الله له ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، الحمد لله المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، الحي القيوم سبحانه وتعالى المتنزه من كل نقص وعيب، نزل القرآن على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، آخر المرسلين، أرسل إلى الثقلين، فأدى الأمانة ونصح الأمة، زكّاه ربه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق، أدبه الله ورباه، اختاره لحمل الرسالة، أكمل الناس خلقا على الإطلاق، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خلقه القرآن".

فأحببت أن أجمع بعض الآيات عن الأخلاق الفاضلة التي كان يتحلى بها نبينا ويدعو إليها، والأخلاق السيئة التي حذرنا منها، ولم يتصف بها صلى الله عليه وسلم قبل نبوته، مما زاده شرفا واحتراما ومنزلة عالية عند قومه بعد النبوة.

وقد وفقني الله لجمع بعض الآيات من سورة البقرة وآل عمران والنساء، راجيا من الله القبول وأن ينفعني بما جمعت وجميع المسلمين، وقمت بكتابة تفسيرها من تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ونفع الأمة به .

أسأل الله أن يوفقني للأخلاق الحسنة، وأن يجنبني مساوئ الأخلاق، انه على كل شيء قدير ويوفق جميع المسلمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

1/ الأخلاق الحسنة والسيئة:

1-سورة البقرة :

1-الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والنّفقة والإيمان بما جاء به الرسول عليه وسلم وما أنزل قبله، والإيمان باليوم الآخر:

فهذه صفات حسنة وطرق نافعة يتصف بها المتقون - يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة: ٣ – ٥.

أولئك : أي المتصفون بتلك الصفات الحميدة "**على هدى من ربهم**" أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية [الحقيقية] إلا هدايتهم، وما سواها [مما خالفها] فهو ضلالة. وأتى بـ "**على**" في هذا الموضع الدالة على **الاستعلاء**. وفي الضلالة يأتي بـ " في " كما في قوله:" وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ " لأن صاحب الهدى **مُستَعْل** بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال **منغمس** فيه **محتقر**.

ثم قال: "**وأولئك هم المفلحون**"و الفلاح: هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب. حصر الفلاح فيهم، لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا **بسلوك سبيلهم**، وما عدا تلك السبيل فهي سبيل **الشقاء والهلاك والخسار** التي تقضي بسالكها إلى الهلاك[1]

-وفي هذه الآيات الدعوة إلى طرق الصلاح والإصلاح، وتعليم الناس ما ينفعهم ولا يضرهم ورجوعهم إلى الحق والهدى، بتبيين أركان الإيمان، والتحذير مما يضاد ذلك من الكفر والعصيان والاستهزاء. والبدع والتبشير والترغيب في الخير وما أعده الله لأهله، والترهيب عن الشرك وما ينجر عنه ذلك من اختلال الأمن في البلاد وانتشار الشر وضعف المسلمين من الكفار. فمادام أهل الحق وصفهم الله بالعلو في الدنيا والآخرة. على أهل الضلال، قلوبهم غير مظلمة بالحسد والحقد والكفر كلما فعلوا عملاً اسْوَدَ قلبهم فازدادوا واستمروا على الإجرام، فلا أنفسهم نفعوا ولا عباد الله سَلموا منهم من خالطهم ابتعد كل البعد عن الإخلاص بل النفاق والمكر وصفهم - والعياذ بالله- فهم الأذلاء أصابهم الوهن والضعف في نفوسهم وأبدانهم، تبعًا لوهن القلب لأن بالإيمان القوة والصحة والعافية، ولو كان المتصف بالإيمان وبأعمال أهل التقوى ضعيف ماديًا ولكن أعلى وأرقى وأفضل وأطهر معنوياً وجسدياً وروحيا من هؤلاء الخالى الفساق المنافقون كل وصف خبيث مستقذر تمسكوا به. وبهذا يعلم العاقل أي الطريقين أنفع وخير وأحسن . ولا حول ولا قوة إلا بالله. والله المستعان.

---

[1] من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله.

2- الكفر والجحود بما أنزل الله على رسوله أو ببعضه سبب للختم على القلوب والأسماع وعلى الأبصار أكنة عن النظر النافع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ البقرة: ٦- ٧.

3-الخداع والإفساد مع دعوى الإصلاح والإيمان :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ البقرة: ٨- ١١.

"فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح قلبا للحقائق وجمعا فقد جمعوا بين فعل الباطل واعتقاده حقًا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية مع اعتقاده أنها معصية "أي محرمة" فهذا أقرب للسلامة وأرجى لرجوعه[1].

4-السفاهة صفة ذميمة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ البقرة: ١٣.

"... قالوا - يزعمهم الباطل - أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ يعنون: -قبحهم الله - الصحابة رضي الله عنهم...فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه: جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، و هذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم، كما أنّ العقل والحجا معرفة الإنسان بمصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه، وفي دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوي المجردة والأقوال الفارغة[2] .

---

[1] من تفسير الشيخ السعدي.

[2] المرجع السابق.

5-الاستهزاء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة: ١٣ – ١٥.

"الله يستهزئ بهم" : وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم، أن زيّن لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفئ نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] الحديد: ١٤.

6-عدم الصبر واحتقار لأوامر الله ونعمه والتبديل والاستهزاء:

من صفات بني إسرائيل: فقد منّ الله عليهم بنعم عظيمة فاختاروا الذي هو أدنى القثاء والفوم والعدس .. ، ولما أمرهم الله عز وجل بدخول قرية تكون لهم عزّاً ووطنا ومسكنا، ويحصل لهم فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين الله فيه بالفعل، وهو دخول الباب "سجدًا" أي: خاضعين ذليلين وبالقول وهو أن يقولوا: حطة أي: أن يَحَط عنهم خطاياهم، بسؤالهم إياه مغفرته ... فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله... واستهزاء... فكان الجزاء "وضربت عليهم الذلة" التي : تشاهد على ظاهر أبدانهم "والمسكنة" بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم مهينة وهممهم أردأ الهمم "وباءوا بغضب من الله"أي لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا ، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم وبئست الحالة حالتهم.

وهذا فيه دليل أن المعاصي سبب للحرمان، وأي حرمان من رضا الرحمن، المسدل علينا بشتى صنوف النعم وفضلنا على كثير مما خلق تفضيلاً، والمعاصي سبب الذلة والمسكنة والفقر -والعياذ بالله- ...

أسأل الله العظيم، الأحد الصمد الحي القيوم، بأسمائه العلى وصفاته الحسنى أن يغفر لي وللمسلمين، وأن ننكر المعاصي والباطل بقلوبنا وأن نستيقن بلقاء الله ورجوعنا إليه فهذا سبب للخوف من الله ورجاء فضله،كما أسأله أن يعلق قلوبنا به سبحانه، فهو القادر عليه والموفق من شاء من عباده ولا حول ولا قوة إلا بالله.

7-النهي عن الشرك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة: ٨٣.

وهذا أصل الدين فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها فهذا حق الله تعالى على عباده[2] .

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

8-الإحسان إلى الوالدين:

"وبالوالدين إحسانا"وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي، مما هو إحسان إليهم وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة...

والإحسان ضدان: 1- الإساءة: وهي أعظم جُرما.

2- وترك الإحسان بدون إساءة: و هذا محرم.[1]

9- الإحسان إلى الناس:

قال الله تعالى: "وقولوا للناس حسنا" ومن أدب الإنسان الذي أدب الله عباده أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع العلم، مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى الخلق امتثالاً لأمر الله، ورجاء لثوابه، ثم أمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد[2].

والإحسان إلى الناس يكون أيضًا: بالتعاون معهم، وقضاء حوائجهم و عدم بغضهم والتكبير عنهم، ومساعدتهم، وترك الظنون السيئة والعفو عنهم، وبإخلاص الدعاء لهم والترحم عنهم وغيرها كثير من الأعمال الصالحة والأقوال التي يحبها الله والعقول النيرة والنفوس المتواضعة.

10-إتباع الشرع وعدم نبذ وترك الكتاب العظيم والسنة النبوية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ البقرة: ١٠١.

"...ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ماينفعه وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع ، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عباده الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ... ابتلي بمحبة غيرالله وخوفه ورجائه ، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين، وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، و به حصل له الملك العظيم[3] .

---

[1] من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

11- الفرح بالدين والدعاء للذرية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤.

"لما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا. طلب ذلك لذريته، لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضا من إمامته ونصحه لعباد الله، ومحبته أن يكثر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية والمقامات السامية".

12- الخوف والرجاء أساس قبول العمل وبركة الانتفاع به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧ ' ١٢٩.

أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس واستمرار هما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما - مع هذا العمل - دعوا الله أن يتقبل منهما عملها حتى يحصل فيه النفع العميم، ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام التي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لإنقياد الجوارح... ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "أنا دعوة أبي إبراهيم."[1]

فيه صفة حميدة وهي محبة انتشار الخير .

13- كتمان الشهادة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: ١٤٠.

فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها: جمعوا بين كتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله. وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة.[2]

---

[1] من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله.

[2] المرجع السابق.

14- السفاهة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾ البقرة: ١٤٢.

السفهاء من الناس: وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه[1]...

ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد و التسليم. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" ،"إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا".

15- الذكر والشكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾

وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر فلهذا أمر به خصوصا، ثم من بعده أمر بالشكر عموما، فقال: "واشكروا لي" أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقراراً بالنعم واعترافا.

وبالله ذكرا وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتنابا لنهيه فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة قال تعالى :" ولئن شكرتم لأزيدنكم .."...وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل أن يشكروا الله على ذلك ، ليزيدهم من فضله ، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.[2]

---

[1] من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله.

[2] المرجع السابق.

16- الاستعانة على الأمور الدينية والدنيوية بالصبر والصلاة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ البقرة: ١٥٣.

قال الشيخ السعدي رحمه الله : "فالصبر هو حبس النفس وكفها على ما تكرهه فهو ثلاثة أقسام:

-صبرها على طاعة الله حتى تؤديها.

-وعن معصية الله حتى تتركها.

-وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها.

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه، خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر و تجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر. فاز بالنجاح، وإن رده عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا، وحصل على الحرمان وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى فهذه لايمكن تركها إلا بصبر عظيم واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار، وكذلك البلاء الشاق، خصوصا أن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها وهو التسخط - إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله والتوكل عليه، واللجوء إليه والافتقار على الدوام.

والصلاة وأَمَرَ تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها وما يُسن، وحصل فيها حضور القلب الذي هو لُبها، فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه - موقف العبد الخادم المتأدب مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقًا بمناجاة ربه ودعائه، لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفا وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء.

17- اخراج المال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾

"و ءاتي المال على حبه" أي: حب المال، بين أن المال محبوب للنفوس فلا يكاد يخرجه العبد. فمن أخرجه مع حبّه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه أن يتصدق وهو صحيح شحيح، بأمل الغنى ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة من قلة كانت أفضل، لأن في هذه الحال يحب إمساكه لما يتوهمه من العدم والفقر، وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى :"لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه" انتهى كلامه رحمه الله.

18- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾

قال رحمه الله : " قد تقدم مرارا أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية وبدنية ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويُعرف ما مع صاحبه من الإيقان.

19- الوفاء بالعهد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾

قال رحمه الله : "والعهد، هو الالتزام بإلزام الله أو إلزام العبد لنفسه، فدخل في ذلك حقوق الله كلها لكون الله ألزم بها عباده وإلتزموها ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها وحقوق العباد التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي إلتزمها العبد كالإيمان والنذور ونحو ذلك.

20- الصبر في البأساء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾

قال رحمه الله : " أي : الفقر: لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة مالا يحصل لغيره... ونحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها والاحتساب ورجاء الثواب من الله عليها".

21 - الصبر في الضراء:

قال الله تعالى :"و الضراء". " أي : المرض على اختلاف أنواعه ، من حمى وقروح، ورياح، ووجع عضو، حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك، فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك، لأن النفس تضعف، والبدن بألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس، خصوصا مع تطاول ذلك. فانه يؤمر بالصبر احتسابا لثواب الله تعالى".

قال الله تعالى : "وحين البأس". "أي، وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم، لأن الجلاد يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل، أو الجراح، أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى، الذي منه النصر والمعونة التي وعدها الصابرين" .

22- الصبر حين البأس:

قال تعالى:" وحين البأس" أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم،لأن الجلاد يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع للإنسان من القتل، أو الجراح، أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى، الذي منه النصر والمعونة التي وعدها الصابرين".

23- الاتصاف بهذه الصفات المذكورة في هذه الآية العظيمة سبب التقوى والصدق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ البقرة: ١٧٧.

قال رحمه الله:"فأولئك هم "الذين صدقوا" في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم "وأولئك هم المتقون" لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور، لأنّ هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير تضمنا ولزوماً، لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها كان بما سواها أقوم، فهؤلاء الأبرار الصادقون المتقون ".

24 - التعود على استعمال الألفاظ الحسنة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾

البقرة: ١٠٤.

1 - النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، نهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة وهي "راعنا" أي : راع أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يقصدون بما معنى فاسدا.

2 - فيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش وترك الألفاظ القبيحة أو فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن.

3 - واسمعوا: لم يذكر المسموع ليعم ما أمر باستماعه، فيد قل فيه سماع القرآن وسماع السنة التي هي الحكمة لفظا ومعنى واستجابة ففيه الأدب والطاعة " من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله مع قليل من الاختصار.

2- آل عـــــــمران

25 - التعاون والوقوف مع أهل الحق لنصرة الدين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾ آل عمران: ٥٢.

26 - الأعمال الصالحة:

القلبية مثل: حسن الظن - الإخلاص...

القولية مثل: الدعاء - الكلام الطيب – الاستغفار...

البدنية مثل: النصرة - التعاون – الصدقة...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ﴾ آل عمران: ٥٧.

قال رحمه الله:" فيوفيهم أجورهم، دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة... "

27- الشك والجدال ماله إلى الضلال والإفساد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ ﴾ آل عمران: ٦٠.

"وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة: وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها فانه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكلّ شبهة تورد فاسدة، سواء قدر العبد على حلّها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلّها القدح فيما علمه لأن ما خالف الحق فهو باطل، انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

28 - الوفاء بالعهد سبب لمحبة الله تبارك وتعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ ﴾ آل عمران: ٧٦.

29 - الخيانة والتحايل سبب الكذب و الإفساد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾ آل عمران: ٧٥.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ آل عمران: ٧٧.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

- لا خلاق لهم في الاخرة: لا نصيب لهم من الخير.
- ولايكلمهم الله: يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا لتقديمهم هوى أنفسهم على رضا ربهم.
- ولايزكيهم: أي يطهرهم من ذنوبهم ولايزيل عيوبهم.

-ولهم عذاب أليم: أي موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب وعذاب جهنم. نسأل الله العافية " اهـ.
فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربنا أحدًا، فلا حياة طيبة، لأنهم مفسدون في الأرض ولا عمل يصلح تلك المعاصي بل داموا على المكر والخداع، فلا خلاق لهم في الآخرة، وبسبب كلامهم المعسول الذي يظهر الصلاح والإصلاح، ويظهر منه خدمة للطرف الآخر، ويُرضيه بشتى الطرق الملتوية، و يراوغه حتى يوقعه في الإثم والطامات العظام، ونفسه تشتهيه وتريد الزيادة والدوام على ذلك والتستر بحجاب الشرع فهذا من النفاق والعياذ بالله، فالجزاء أن لا يكلمهم الله، وبسبب المداومة لا يزكيهم من ذنوبهم ولا يزيل عيوبهم. ليلاقوا السخط والحجاب عن عفو الله. أسأل الله العفو و العافية .

30 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

آل عمران: ١٠٤.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:" يدعون إلى الخير، وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه.

ويأمرون بالمعروف: وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه.

وينهون عن المنكر: وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه.

وهذا خلق عظيم وجب التحلي به والصبر على الأذى فيه".

31 - الإختلاف والتفرق من أعظم المفاسد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

آل عمران: ١٠٥.

32- الصبر والتقوى:

على كيد الكائدين وحسد الحاسدين ومكر الأعداء من المنافقين وغيرهم، الذين امتلأت قلوبهم عداوة وبغضاء، لذلك يحرصون على ضرر المصلحين وإفسادهم وتفرقتهم وإضعاف صفهم وتشتيت وحدتهم، فيجب الحذر منهم قال الله تعالى:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠.

قال رحمه الله:" إنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة ظاهرة، ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه" .

" فإذا أتيتُم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر - وهي الصبر والتقوى. لم يضركم مكرهم بل يجعل الله مكرهم في نحورهم، لأنه محيط بهم علمه وقدرته، فلا منقذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليه منهم شيء".

33- الإنفاق في السراء والضراء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾

من صفات عباد الله المتقين الإنفاق في حال اليسر والإكثار منه والإنفاق ولو بالقليل في حال العسر.

34- كظم الغيظ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾

قال رحمه الله : " أي إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم، وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام بالقول والفعل هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

35 - العفو عن الناس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾

قال رحمه الله: " ويدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله. رحمة بهم وإحسانًا إليهم وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾

36 - الإحسان :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

قال رحمه الله: " والإحسان نوعان : ١- الإحسان في عبادة الخالق قال صلى الله عليه وسلم : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ٢- والإحسان إلى المخلوق: فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم ".

37 – اللّين :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾

قال رحمه الله: " أي برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك. ورققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك ".

38- الغلظة والقساوة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾

قال رحمه الله: " أي سيء الخلق غليظ القلب، أي : قاسية - لانفضوا من حولك لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ ".

39- المشاورة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾

قال رحمه الله: " فإذا كان الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيًا "وشاورهم في الأمر" فكيف بغيره ؟!

3-النســـــاء:

40- حسن الأدب مع ذوي القربى واليتيم و المسكين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾

قال رحمه الله :

"كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :" إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين". -أو كما قال صلى الله عليه وسلم

وكان الصحابة عنهم إذا بدأت باكورة أشجارهم، أتو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبّرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك علمنا منه بشدة تشوّفه لذلك. وهذا كلّه مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك. لكونه حقّ سفهاء. أو ثّم أهم من ذلك. فليقولوا لهم "قولا معروفا" يردّوهم ردا جميلا، بقول حسن غير فاحش".

41 - المعاشرة بالمعروف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

قال رحمه الله تعالى : " وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية..."

42 – الإحصان والسفح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾

قال رحمه الله تعالى : " محصنين أي: مستعفين عن الزنا و معفين نساءكم غير مسافحين. والتسفح: سفح الدماء في الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته، لكونه وضع شهوته في الحرام، فتضعف داعيته للحلال فلا يبقى محصنا لزوجته وفيها دلالة على انه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾

43- التمني والكسل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢﴾

قال رحمه الله تعالى: "ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة ، فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر و النقص حالة الغنى والكمال، تمنينا مجردًا، لأن هذا هو الحسد بعينه ، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك، و يسلب إياها.

ولأنه يقتضي السخط على قدر الله، والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة، التي لا يقترن بها عمل ولا كسب، وإنما المحمود : أمران :

- أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية.
- ويسأل الله تعالى من فضله ، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه .

ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب. ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾

فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه.

"واسئلوا الله من فضله" أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا فهذا كمال العبد، وعنوان سعادته، لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين، فإن هذا مخذول خاسر. وقوله :" ان الله بكلّ شيء عليما" فيعطي من يعلمه. أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق". أهـ

44- الإحسان إلى الوالدين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

قال رحمه الله : " أي : أحسنوا إليهم بالقول الكريم ، والخطاب اللطيف والفعل الجميل ، بطاعة أميرهما ، واجتناب نهيهما، والإنفاق عليهما، وإكرام من له تعلق بهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بها".

..... "فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله، معجب بنفسه، فخور بقوله".

45 - الإختيال والفخر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

قال رحمه الله :"مختالاً، أي مُعجبًا بنفسه، متكبرا على الخلق "فخورا" يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله...وهذه هي صفات الكافرين.

46 - الشرك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

قال رحمه الله "و هذا من قبائح اليهود، وحسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله،وطاعة الشيطان..."

47- الإيمان والعمل الصالح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

48- تحريض المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

قال رحمه الله : " على القتال وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين الأعداء وقوة قلوبهم، من تقويتهم، والإخبار بضعف الأعداء، وفشلهم وبما أعد الله للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال".

49- العدل والقسط بين الناس و تحريم المخاصمة للخائنين :

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

قال رحمه الله : " أي : لا تخاصم عن من عرفت خيانته من مُدّع ما ليس له، أو منكر حقا عليه، سواء علم ذلك، أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية، والحقوق الدنيوية، ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن يعرف منه ظلم". اهـ

50 - الوهن والضعف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

قال رحمه الله : " أي لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار. أي : في جهادهم والمرابطة على ذلك، فان وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء، بل كونوا أقوياء، نشطين في قتالهم، ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين. فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبهم من الألم، وا تعب والجراح ونحو ذلك. فانه يصيب أعداءكم فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية، أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام، وانتصر عليه الأعداء على الدوام لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى.

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه، والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية ، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه .. واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة ، وتضاعف النشاط ، والشجاعة التامة ، لأن من يُقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد، وفرّق بينهم بعلمه وحكمته ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كامل العلم، كامل الحكمة".

51 - الشح :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾

قال رحمه الله : " أي : جبلت النفوس على الشيح، و هو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له. فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي : فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم. وتستبدلوا به ضده وهوالسماحة وهو بذل الحق الذي عليك والاقتناع ببعض الحقّ الذي لك. فمتى وفق العبد لهذا الخلق الحسن،

سهل- حينئذ - عليه الصلح بينه وبين خصه ومعاملة[1]، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد أمره".

52 – الإحسان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

قال رحمه الله :" أي : تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنّه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه أو غير ذلك".

53 - القسط:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾

قال رحمه الله : " والقوام صيغة مبالغة، أي كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط، الذي هو العدل في حقوق الله، و حقوق عباده، فالقسط في حقوق الله: أن لا يستعان بنعمه على معصيته بل تصرف في طاعته.

والقسط في حقوق الآدميين: أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحبّ أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك ".

54 – النفاق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

قال رحمه الله: "الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر..."

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

قال رحمه الله فبمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها خداع لأنفسهم وأي خداع أعظم ممن يسعى سعيا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان ؟ ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية ورآها حسنة، وظنّها من العقل والمكر فلله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه !! وانطوت سرائرهم بمراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون الله "ولا يذكرون الله إلا قليلا" لامتلاء قلوبهم من الرياء، ومن صفاتهم أنهم إن قاموا للصلاة قاموا كسالى. و هذه الصفات السيئة المذمومة، تدل أن المؤمنين متصفون بضدها من:

- الصدق ظاهرا وباطنا.
- الإخلاص.
- النشاط في الصلاة وعباداتهم.
- ذكر الله كثيرا.

---

[1] هكذا في التفسير.لم أفهمها. ربما ومعاملته.

- توفيقهم إلى الصراط المستقيم.[1]

55 - الجهر بالسوء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾

قال الشيخ السعدي رحمه الله وعفا عنه: " يُخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه. ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن كالشتم والقذف. والسبب ونحو ذلك، فإن ذلك كله من المنهي و يدل مفهومها : أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين. وقوله:"إلا من ظلم" أي : فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه، ويتشكي منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك ، فعفوه وعدم مقابلته أولى ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾

-تم بحمد الله وعونه-

[1] من تفسير الشيخ رحمه الله مع قليل من الاختصار.

اللهم إني أسألك الهداية إلى الصراط المستقيم أسأل الله العظيم أن يتغمدني في رحمته وجميع المسلمين، وأن يجعلني من عباده المتقين، وأن يرحم الشيخ السعدي وينفعنا بعلميه ويكتب له الأجر والثواب إنه جواد كريم، ويكتب لنا في هذا النقل المبارك وحسن العمل وحسن الظن به إنّه يحب المحسنين.

فاللهم اجعلنا في عبادك المحسنين الصادقين. وكل من قرأ أو سمع أن يغفر له ويعفو عنه. آمين ومن أخرجه و صححه أن يبارك له. كما أسأله سبحانه كما وقفني في جمعه أن يوفقني في العمل بهذه الأخلاق والصفات الحسنة ويجنبني مساوئها، وأن يزكي أنفسنا جميعًا، ويعلق قلوبنا به سبحانه وأن يجعلنا مما يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون، فانا لله وإنا إليه راجعون ولا حول و لاقوة إلا بالله العلي العظيم.

ولله الحمـــــد.